

تنافس دولي على أفريقيا بأبعاد استراتيجية وأمنية كبرى ورهانات تنموية تؤثر في مستقبل العالم

الدول العربية تحتاج مظلة قوية في القارة السمراء لتحمي أمنها ومصالحها

بدأت الدول العربية تخطو بشكل جدي في سباق التنافس العالمي الحاد على القارة الأفريقية، وهي خطوات وليتأتى لها بعد القارة إلى مستوى الشريك الاستراتيجي إلا أنها تسجل حضورا هاما يمثل أساسا المغرب والسعودية والإمارات ومصر.



د. حسن مخدّم
أستاذ في جامعة
فانسن باريس 8

الرابطة - تشهد القارة الأفريقية وتيرة متسارعة من التنافس الدولي على الاستثمار فيها سياسيا وعسكريا واقتصاديا. تغزو الصين الأسواق الأفريقية وتستثمر في البنية التحتية لكثير من دول القارة وتقدم لها القروض دون أي شروط أو حدود. في المقابل، تسعى الولايات المتحدة جاهدة لإسماك بكل الخيوط السياسية والعسكرية. أما فرنسا، القوة الاستعمارية السابقة، فلا تسمح لأحد أن ينافسها في ما ملكت سابقا وحاضرا. ودخلت على خط التنافس تركيا، عبر بوابة المساعدات الإنسانية والاستثمارات.

لكن، وبينما ينظر الأفارقة لهذا التدافع المحيط بهم من كل حذب وصوب، يلاحظون غيابا لافتا للدور العربي رغم أن ما يجمعهم مع العرب أكثر مما يفرقهم. ويرى الخبراء خطرا في غياب العرب عن القارة معتبرين أنه على البلدان العربية أيضا أن تدخل هذا السباق، وتتسلح بأساليب جديدة تواكب المعطيات العالمية الراهنة، وتواجه تحديات كبرى مثل التدخلات الخارجية التي تتخذ من المنطقة قاعدة لزعزعة استقرار دول عربية، ومحاربة مكامن التطرف والإرهاب.

عوامل ومحفزات الاستثمار

بدأت الدول العربية تعي أهمية تعزيز مواقعها وقوتها الاقتصادية والدبلوماسية في أفريقيا بالتوازي مع علاقاتها مع أوروبا وآسيا والولايات المتحدة. ويتجه هذا التوجه الجديد احتلال الإمارات المرتبة الثانية على قائمة أبرز استثمارات رأس المال في أفريقيا لسنة 2017. ويأتي المغرب ثالثا، والسعودية في المرتبة الخامسة بعد إيطاليا وفق تقرير منظمة الأمم المتحدة للتجارة والتنمية.

ويعد المغرب ثاني أكبر مستثمر أفريقي في جنوب القارة بعد جنوب أفريقيا. ووصل حجم التبادل التجاري بين المغرب والدول الأفريقية إلى 6.9 مليار دولار عام 2018 مقارنة بـ 5.6 مليار دولار عام 2017. وتواصل هذه الأرقام ارتفاعها خاصة مع زيادة استثمارات دول الخليج العربي، وخصوصا السعودية والإمارات، في دول أفريقية. وعزز المغرب من حضوره في منطقتي وسط وغرب أفريقيا لكي يتسهم في 100 اتفاقية مع 28 دولة أفريقية، مستغلا مركزه الجغرافي الاستراتيجي المتميز، والاستثمار الأجنبي المتزايد، ومستويات الدين الخارجي. واستطاعت المجموعات المغربية البنكية أن تظهر قدرة تنافسية دولية، فبنك "التجاري وفا"، على سبيل المثال، يعمل في 13 دول أفريقية في جنوب الصحراء، كما يمتلك "البنك الشعبي المركزي" شبكة مكونة من 19 فرعا معتمدة في المنطقة.



المغرب يقدم نموذجا يحتذى به في الشراكة العربية الأفريقية

ينطوي اليوم على أبعاد استراتيجية وأمنية كبرى ورهانات تنموية تؤثر في مستقبل العالم العربي بأسره. تعد أفريقيا من أغنى القارات في العالم مستقبلا، وإن بدت اليوم أفقرها. لذلك لا بد من إغناء هذا الحضور العربي وجعله قاريا بفرض العمل التكاملية الاستراتيجية، وعدم حصر العلاقات في تعاملات فردية، لأن كل التكتلات القائمة ذات القيمة حاليا قائمة على التعاون الاقتصادي. ومن ثم، إذا كانت اتفاقية التجارة الحرة القارية على الأبواب، والمنتظر أن تدخل حيز التنفيذ بدءا من الأول من يونيو 2020، فهي ستتكمّل عاجلا أم آجلا مع التحالفات الإقليمية الأخرى، مثل المجموعة الاقتصادية لدول غرب أفريقيا (الإيكواس) واتحاد الكوميسا في شرقها، واتفاق ساداك الخاص بمجموعة الجنوب الأفريقي، ومجموعة شرق أفريقيا (إيك)، ما يجعل منها أكبر تجمع اقتصادي على مستوى العالم بـ 55 دولة.

وسترتفع بموجب هذه الاتفاقية نسبة التجارة البينية إلى 25 بالمائة في عام 2022، وستبلغ 220 مليار دولار، وتضم سوقها 1.2 مليار مستهلك. وعليه، يمكن القول إن العلاقة العربية الأفريقية يجب أن تتكيف وتستمر بنفس جديد.

حلول للنزاعات الحدودية بينهما، مما جعل هذه المبادرة أنجح مبادرات سياسية تضع حدا لصراع طويل الأمد، فشلت في حله القوى الدولية الكبرى. والجدير بالذكر، أن هذه الخطوات سبقها تنسيق سعودي إماراتي. إن اضطلعت الإمارات على مستوى الرؤية والسياسات بأدوار مهمة في التوصل لاتفاق السلام بين إثيوبيا وإريتريا. وهي تحاول العمل على صيانة أمن القرن الأفريقي، الجدار الخلفي لأمن الخليج.

وتعد الإمارات ثاني أكبر مستثمر في القارة السمراء من منطقة الشرق الأوسط، حيث تقدر استثماراتها بنحو 11 مليار دولار. وتلعب دورا مهما في القرن الأفريقي بفضل الدور الطائفي لشركة "موانئ دبي العالمية" وحضورها الهام في موانئ الصومال وإريتريا بالقرب من باب المندب.

نواة عربية مركزية

يمكن أن يمثل الحضور المغربي والسعودي والإماراتي والمصري نواة عربية مركزية لمسار جديد تقوده جامعة الدول العربية مع الاتحاد الأفريقي، لأن التنافس الحالي على القارة لم يعد حرب مواقع وموارد بين الولايات المتحدة والصين وفرنسا فقط، بل

هذا المنحى يتم تعزيزه باتجاه اهتمام دول الخليج العربي بدول الساحلي بين نيجيريا والمغرب. كما اتخذت خطوة هامة ببناء أكبر مصنع للأسمدة في القارة بتكلفة إجمالية تبلغ 3.6 مليار دولار. ويخطط المغرب للاستثمار في موانئ إريتريا، فيما أعلنت شركة الاتصالات المغربية أن عدد منخطوطها في القارة تجاوز 60 مليون مستخدم، وبناتت شركة الاتصالات تنشط في 11 دولة.

وتعد السعودية أكبر مستثمر في مجال الزراعة في حوض النيل، حيث تملك 66 بالمائة من جملة المشروعات الزراعية، تليها الإمارات العربية المتحدة (27 بالمائة)، والكويت (7 بالمائة)، وقطر (1 بالمائة).

ونظرا للدور التنموي الذي تلعبه الاستثمارات السعودية والإماراتية، فإنها استطاعت التأثير إيجابيا في مجريات الصراع الدائر بين إثيوبيا وإريتريا عبر توقيع اتفاق سلام في جدة في 16 سبتمبر 2018. على إثر هذا الانفراج الهام، استضافت السعودية محادثات مباشرة بين إريتريا وجيبوتي لإيجاد

واقنعت الرباط نيجيريا بإنشاء خط أنابيب غاز يمتد على طول الشريط الساحلي بين نيجيريا والمغرب. كما اتخذت خطوة هامة ببناء أكبر مصنع للأسمدة في القارة بتكلفة إجمالية تبلغ 3.6 مليار دولار. ويخطط المغرب للاستثمار في موانئ إريتريا، فيما أعلنت شركة الاتصالات المغربية أن عدد منخطوطها في القارة تجاوز 60 مليون مستخدم، وبناتت شركة الاتصالات تنشط في 11 دولة.

يمثل الحضور المغربي والسعودي والإماراتي والمصري نواة عربية مركزية لمسار جديد تقوده جامعة الدول العربية مع الاتحاد الأفريقي

ويطمح المغرب لأن يجعل من ميناء طنجة المتوسط إحدى أكبر المحطات اللوجستية التي تربط بين أقرب سوق عالمية (الاتحاد الأوروبي) وغرب أفريقيا، وهو بذلك يضع لبنة كبرى في قيادة التجارة البحرية الأفريقية عبر اتصاله بـ 186 منفذا حول العالم في 77 دولة.

خبرة نسج المؤامرات تفشل في تحصين النظام الإيراني

بقراءة سياسية مغلوطة يحاولون إقناع أنفسهم والعالم بها. ولكن التظاهرات العراقية واللبنانية اليوم تصوب هذه القذرة وتضع الأسور في نصائبها الطبيعي. رهان نظام الملاي على موت شعوب المنطقة كان هشاً جدا. ورهانه أيضا على ضوء أخضر أبدي من الدول الكبرى لإيران كي تتوسع شرقا وغربا خارج حدودها، كان هشاً هو الآخر. عندما تحرق قنصلية إيران في النجف ثلاث مرات متتالية فهذا يعني أن العدو لم يعد هلاميا ولم يعد مجموعة مندسين. وعندما يخرج شيعة لبنان ضد حكم بيسند على حزب الله وحركة أمل بالدرجة الأولى، فإن المؤامرة الوحيدة التي تدور في المنطقة هي مؤامرة خامنئي.

لن يستفيد النظام الإيراني من خبرة نسج المؤامرات وقمع الاحتجاجات التي راكمها على مدار عقود لمواصلة هيمنته على الشرق الأوسط. وإن تملكه الغرور بقمع تظاهرات الإيرانيين هذه المرة أيضا، فهو كالزهر الذي يخفي الموت وهو زؤام، كما يقول أمير الشعراء أحمد شوقي.

كل الوقت لقمع التظاهرات وقتل الأبرياء وخلق العارضة. فاخر الإيرانيون بانتصار كبير لهم على المؤامرة الخارجية في سوريا. وعلى ركام هذا النصر يبشرون العراقيين واللبنانيين بإحباط المؤامرات عليهم، على عكس ما يتوقع خامنئي، فإن المقارنة بحد ذاتها تكفي لأن يثور العراقيون واللبنانيون على إيران وأنظمتهم المرتبهة لها. فالإنجاز الوحيد لخامنئي في "إحباط المؤامرة" على سوريا هو الخراب والدمار وانقسام البلاد بين أربعة محتلين إضافة إلى إيران. لم يكن الإيرانيون ليحققوا أي "نصر" لهم في سوريا لو أن نظاما آخر غير نظام بشار الأسد هو الذي يحكم البلاد. ورغم ذلك كل ما حققوه هو مجرد وهم نصر لا طائل منه كما بيّنت العراقيون واللبنانيون كل يوم منذ شهرين. كل ما فعلته إيران في سوريا هو زرع وكلاء وأذرع لها هناك، وهي ترى اليوم كيف يتهاوى من زرعته في لبنان والعراق قبل سوريا بسنوات طويلة. خرج الإيرانيون من الأزمة السورية

تراكمت منذ ثورة الخميني قبل أربعين عاما. يعتقد الولي الفقيه أن قدرته على خلق المؤامرات وإحباطها هي ما تبقى على عيني الحياة، ولكن الحقيقة هي أن الدول التي تستخدم إيران منذ عام 1979 هي من تحافظ على ديمومتها، وتتيح لها



نظام من عقيدته نظرية المؤامرة

يلبي النظام مطالبات الحراك المقهور تصبح مهمته حماية الدولة من المؤامرة الخارجية، ويصبح الواجب الوطني للحراك هو شكر النظام على حماية الدولة. ثمة خبرة لدى نظام إيران في استخدام نظرية المؤامرة لقمع الاحتجاجات الشعبية

باستمرار حكمتهم وقوتهم التي تدور أعداء لا يمكن إرآكهم بالحواس الخمس. لا تعرف من العدو في المؤامرة التي تدعي إيران أنها انتصرت عليها. لا ترى شخوصه ولا تتلمس مبرراته. كل ما يتوفر من معرفة حوله يأتي عبر مصدر واحد هو الشخص الذي حاك القصة، وأوصلها لمن يواصل سردها. أما البديل فهو أن تقتنع بعدم وجود احتجاجات. ندرت المؤامرة الخارجية وتمت حماية البلاد من الأعداء. لم تر هؤلاء الأعداء ولكنك يمكن أن تجري بعض المقاربات للتعرف عليهم. هم أشخاص يدعون الفقر والظلم والإضطهاد. لا يعرفون نعمة أن تكون معاقبا اقتصاديا وسياسيا لأنك تقس حياة الشعوب في خمس دول عربية. الاستنتاج المنطقي يقول إن الشعب هو العدو. ولكن النظام يقول إن المحتجين صادقون، والمشكلة تكمن في العدو الخارجي الهلامي وأدواته. أولئك المندسون الذين يريدون تسليق الحراك للإطاحة بالنظام ونشر الفوضى في البلاد، فجأة يتحول الشعب من ضحية للنظام إلى ضحية للمندسين. وبدل أن



بهاء العوام
صحافي سوري

تطوّرت نظرية المؤامرة في قمع الاحتجاجات الشعبية في الشرق الأوسط بشكل يستحق الاهتمام فعلا. وما حدث في إيران مؤخرا يدل على ذلك بوضوح. الوصفة الجديدة التي قدمتها طهران للعالم بسيطة جدا ومجيدة جدا. نزع البلاد عن العالم الخارجي لبضعة أيام، ونقل واعتقل ونضرب خلالها الآلاف من المحتجين حتى يعود البقية إلى منازلهم. وعندما تنتهي المجازر تنصّر للإعلام صورة بعيدة لأشخاص مسلحين لا يمكن تمييز ملامحهم بطلقون النار على الأمن. في اليوم التالي، تخطو وسائل الإعلام الموالية للنظام فوق الصورة عنوانا عريضا يقول انتصرتنا. ومن ثم يتبارى أبواق النظام في تفسير خطاب القادة المنتصرين للمؤامرة الخارجية التي نتهّم فيها دول تعارض السياسة الإيرانية. لا ضرورة لأن يعرف أحد كيف ومتى وماذا حدث. كل ما هو مطلوب الدعاء للقادة